ـ التعبير والإنشاء بين اللغة والاصطلاح :

التعبير في اللغة مشتق من الفعل (عبر) ، وهو يشير في الغالب إلى معاني الكشف والتوضيح والإخبار والبيان ، فقد جاء في لسان العرب : عَبَرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُها عَبْرًا وعِبارةً ، وعبَّرها :فسَّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرُها ، وفي هذا الصدد يقول جار الله الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون)) : حقيقة عَبَرْتُ الرُّؤْيَا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول : « عَبَرْتُ النَّهرَ » إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه « أولت الرؤيا » إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها .

وجاء في مفاتيح الغيب للفخر للرازي : يقال عبرت الرؤيا أعبرها وعبرتها تعبيرًا إذا فسرتها ، وحكى الأزهري أن هذا مأخوذ من العبر ، وهو جانب النهر ومعنى عبرت النهر ، والطريق قطعته إلى الجانب الآخر فقيل لعابر الرؤيا عابر ؛ لأنه يتأمل جانبي الرؤيا فيتفكر في أطرافها وينتقل من أحد الطرفين إلى الآخر .
فالتعبير هو تفسير شيء غير واضح أصلاً أو لم تكتمل معانيه ، وهو أيضًا جمع شتات الفكر في الألفاظ والعبارات التي كانت مختزنة عند الفرد قبل الكلام وهذا هو المعنى المقصود من قول ابن منظور : عَبَّر عمَا في نفسه : أَعْرَبَ وبيّن ، وعَبَّر عن فلان تكلم عنه واللسان يعبر عمّا في الضمير .

والخلاصة التي نصل إليها من خلال التعريفات اللغوية السابقة أن لفظ التعبير تعني الإبانة والإخبار والإفصاح عمّا يدور في خاطر الفرد من أفكار ومشاعر بحيث يفهمه الآخرون ، وهذا ما يعنيه أصحاب المعاجم السابقة ، فعبّر عمّا نفسه أعرب وبيّن ، وعبر عن فلان : تكلم عنه ، واللسان يعبر عمّا في الضمير من كلام .

أما التعبير من وجهة نظر اصطلاحية فيمكن تعريفه بأنه هو بيان ما يجول في خاطر الكاتب من أفكار أو مشاعر ، ومواضيع بلغة واضحة وألفاظ متينة ، وملكة تنمو وتتجدد بالاطلاع والممارسة ، فتنقل مواضيع التعبير في شكل أحداث ، واقعية ، أو خيالية بواسطة أدوات

كالكتابة ، أو الرسم ، أو الخطوط ، أو الحوار ، أو التصوير أو الإيحاء ، بدءًا من صراخ الطفل إلى الكلمة المنطوقة المكتوبة .

ويعرف أيضًا بأنه قدرة الأنسان على أن يتحدّث في طلاقة وانسياب ووضوح ، أو أن يكتب في قوة ووضوح وحسن عرض ودقة عمّا يجول بفكره وخاطره ، وعمّا يجول بمشاعره وأحاسيسه ، كل ذلك في تسلسل وتلاؤم وانسجام وترابط في الفكرة والأسلوب . ويُعرَّف كذلك بأنَّه نظام من الأصوات والكلمات والعبارات والجمل سواء أكان هذا التعبير ملفوظًا أم مسموعًا أم مكتوبًا أم متخيلاً للتعبير عن المعنى المقصود .
ويعرف التعبير أيضًا بأنه الطريقة التي يصوغ بها الفرد أفكاره وحاجاته ووسيلته الأولى للإفصاح بواسطة اللغة عمّا يدور في خلده من أحاسيس ومدركات للاتصال بالمجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه ، أو هو نقل الأفكار للناس عن طريق التحدث أو الكتابة ، والتعبير كذلك هو امتلاك القدرة على نقل الفكرة أو الإحساس الذي يعتمل في الذهن أو الصدر إلى السامع ، وقد يتمّ ذلك شفهيًا أو كتابيًا وفق مقتضيات الحال . فالتعبير هو القالب الذي يصبّ فيه الإنسان مشاعره وأحاسيسه وأفكاره أيّاً كانت ، والتي يمكن أن يفصح عنها بشكل شفهي أو كتابي بحسب حاله وميله ورغبته لما يمكن أن يحقّق هدفه ، شريطة أن يكون هذا التعبير مفهومًا يستطيع أن يستوعبه المتلقّي .

فالتعبير بمفهومه العام هو الإفصاح عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس المختزنة في الذهن والنفس بكل وسيلة ممكنة ، وهو بذلك يجمع كل أدوات ووسائل الاتّصال سواء أكانت لغوية أم غير لغوية كالتعبير بالموسيقى ، والرسم ، والإشارات ، وباللغة المنطوقة والمكتوبة . ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية نستنتج أن التعبير بشقيه الشفهي والكتابي هو نشاط لغوي يكتسب من خلاله الفرد العلاقات التي تنتظم حسبها العناصر اللغوية ، ويهدف من خلاله الحصول على ما يسمى بالملكة اللغوية بغرض التحكم في اللغة فهمًا واستعمالاً . فالتعبير إذاً هو استعمال اللغة وجريانها على ألسنة الأفراد وهو غاية من غايات تعلم اللغة يهدف بواسطته الأشخاص إلى تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف المختلفة .

أما الإنشاء في اللغة فهو مشتق من الفعل (أنشأ) وقد جاء في كتاب العين : أَنْشأتُ حديثًا : ابتَدَأتُ ، والإنشاء أيضًا : إيجاد الشيء من غير امتثال ، وإيجادُهُ من لا شيء ، قال أبو هلال العسكري (٤٠٠ هـ) : الإنشاءُ الإحداثُ حالاً بعد حال من غير احتذاءٍ على مثالٍ ، وقال بعضُهم : الإنشاءُ ابتداءُ الإيجاد من غير سبب ، ومنه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا)) ، ومنه أيضًا قول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) : ((اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها)) .

و الإنشاءُ أيضًا الخَلْقُ ، جاء في لسان العرب لابن منظور : أَنْشَأَهُ اللهُ : خَلَقَهُ ، وأَنْشَأَ اللهُ الخَلْقَ : ابتَدَأَ خَلْقَهُم ، وفي التنزيل العزيز : ((وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى)) : أي البعثة ، وقال الزجاج في قوله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ)) : أي ابتدعها وابتدأ خلقها ، وكل من ابتدأ شيئًا فهو أنشأه ، والإنشاء : الابتداء .

أما الإنشاء اصطلاحًا : فهو الكلام الذي لا يقال فيه : صدقت ولا كذبت ، ولا يدل على أمر حاصل في الخارج ؛ لذا هو ما لا يحصل مضمونُهُ ، ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به ، فطلبُ الفعلِ في (افْعَلْ) ، وطلبُ الكفِّ في (لا تفعلْ) ، وطلب المحبوب في (التمني) ، وطلبُ الفهمِ في (الاستفهام) ، وطلبُ الاقبالِ في (النداء) ؛ كلُّ ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفَّظِ بها .

نستنتج من ذلك أن الإنشاء بالمعنى الاصطلاحي مقارب له بالمعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي؛ لأنه في الاصطلاح إنشاء الناظم للكلام أو خلقه في نفسه أو نفس مخاطبه ، من غير أن يكون للكلام واقع خارجي يطابقه فيوصف بالصدق ، أو لا يطابقه فيوصف بالكذب ، وهو باللغة بمعنى الابتداء ، والابتداع ، والخَلق .

ـ الفرق بين الإنشاء والتعبير :

الإنشاء هو فن يُعرف به كيفية أداء المعاني التي تخطر بالذهن أو تُلقَى إليه ، على وجه تتمكن به من نفوس المخاطبين ، من حيث حُسْن ربط أجزاء الكلام ، واشتماله على ما يُستَجَاد من الألفاظ ويحسن من الأساليب ، مع بلاغته ، وموضوعه الكلام العربي من حيث ربط أجزاء جُمَلِه ومحاسن كَلِمِه .

أما التعبير فهو القالب الذي يصب فيه المرء ما لديه من الأفكار والمشاعر ، بعبارات متناسقة تؤدي إلى وحدة فكرية منتظمة ، أو بعبارة أخرى هو الافصاح عن الأفكار والمشاعر تحدثًا أو كتابة ، بلغة عربية سليمة .

فالتعبير هو المظهر العفوي للغة ، في حين أن الإنشاء هو المظهر الاصطناعي ، إضافة إلى أن التعبير أوسع من الإنشاء ، فهو يشمل مجالات الحياة كلها ؛ في البيت والشارع والجامعة ... الخ ، الإنشاء صنعة ، ومن هنا سمّى القلقشندي كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) ، ويقتصر الإنشاء على الجانب الكتابي في حين يشمل التعبير الجانبين الكتابي والشفهي .

فالإنشاء يعني الخلق والإبداع ، وهذا الإبداع لا يتهيأ لكل فرد ، وإنما يتعلق الأمر بأصحاب المواهب والاستعدادات الخاصة ، أما التعبير فيشمل كل الأفراد ليعبروا عمّا يواجهونه من المواقف الحياتية المتنوعة ، فيتلقى هذا التعبير السامع أو القارئ فيفهمه ويتبنى مقاصده .